

نفحات القرآن

[105] لمعرفة □ في عالم الرحم فأنّه أقلّ الأقوال إشكالا ، والإشكال الوحيد الذي أورده عليه هو أنّ ظاهر الآية المبحوث عنها هو أنّ السؤال والجواب جاء بلسان القال لا الحال ، وهو ضرب من التشبيه والمجاز ، مضافاً إلى أنّ جملة (أخذ) دليل على أنّ هذا الأمر قد أخذ في الماضي ، في حين أنّ فطرة التوحيد للأجنّة هي أمر مستمرّ ويتحقّق في كلّ زمان ، والإشكالان يمكن الإجابة عليهما وذلك لعدم مانعية حمل هذا الكلام على لسان الحال مع القرينة ، وقد كثر ذلك في اللغة العربية نثراً وشعراً ... ، والإشكالات المهمّة التي ترد على التفسير الأوّل قرينة واضحة على هذا التفسير ، والفعل الماضي قد يستعمل في الإستمرار أيضاً ، وهذا - طبعاً - يحتاج إلى قرينة أيضاً ، وهذه القرينة موجودة في موضوع البحث(1). أمّا التفسير الثالث القائل بأنّ المراد هو : سؤال الأرواح فأنّه لا ينسجم مع آية البحث أبداً ، لأنّ الآية تتحدّث عن أخذ الذرّية من ظهور بني آدم ولا يرتبط هذا بقضيّة الأرواح . وأمّا التفسير الرابع القائل بأنّ السؤال والجواب كان بهذا اللسان الطبيعي ويرتبط بمجموعة من البشر قد سئلوا بعد إبلاغهم بواسطة الأنبياء عن مسألة التوحيد وأجابوا بالإيجاب عليه ، فإنّ عليه إشكالات رئيسية منها : إنّ الآية تتحدّث عن جميع البشر لا مجموعة صغيرة منهم آمنوا بالأنبياء أو لا ثمّ كفروا ، مضافاً إلى أنّ ظاهر الآية هو كون السؤال من قِبَل □ لا من قبل الأنبياء . ولا يصحّ ما يظنّه بعض من أنّ جملة (إنّما أشرك آباؤنا من قَبْل) دليل على أنّ الآية تقصد المجموعة التي أشرك آباؤها ، لأنّ الآية تذكر عذرين غير موجّهين _____ 1 - شوهدت هذه العبارة كثيراً في الآيات القرآنية : " إنّّه كان عليماً قديراً " (فاطر : 44) ، " وما كان لبشر أن يكلامه □ إلاّ وحياً " (الشورى : 51) ، " بل كان □ بما تعملون خبيراً " (الفتح : 11) " وكان □ عزيزاً حكيماً " (الفتح : 19) .